ح

حاج

تقع حـاج أو ذات حاج على بـعد ٨٤كم إلى الشمال من تبوك شمال غرب المملكة، على خط الطول ٠٨ َ ٣٦ْ شرقاً ودائرة الـعرض ٠٤ َ ٢٩ْ شمالاً، وهـي منزل من مـنازل طريق الحج الشـامي. وقد ورد ذكرهـا في شعر جميـل بثينة الذي عاش فـي العصر الأموي. وربما كان ينـمو بهذا المكـان نبات (الحاج)، فسمي به المكان. وكانت ذات حاج طوال فترات التاريخ الإسلامي منهلاً تتوافر فيه المياه من أحساء غير عـميقة، وقد أشار إلى ذلك ابن بطوطة الـذي مر بها سنة ٧٧٦هـ، كذلك ابن طولون، في أواخر القرن العاشر الهجري، وأشارا إلى وجود بركة فيها. وفي عصر السلطان سليمان القـانوني أنشـئت في ذات حاج قـلعة صغيرة جـعلت ملاصقة لضـلع البركة الشمالي.

وقلـعة ذات حـاج، ذات مسـقط مستطيل الشكل، تبلغ أبعاده ٥٠ ,٢٣م لكل من الضلعـين الشمالي والجنوبي، و٢٢م لـكل مـن الضـلعـين الشـرقي والغربي، ويبلغ ارتفاع جدرانها الخارجية الحالية ٢٥ ,١٠م، وليست مدعمة بأبراج في أركانها.

قلعة ذات حاج (الواجهة الشرقية)

أما البوابة فتقع في منتصف ضلعها الغربي تقريباً، وهو يؤدي عبر ممر منكسر إلى فـناء أوسـط يحـيط بـه عدد مـن

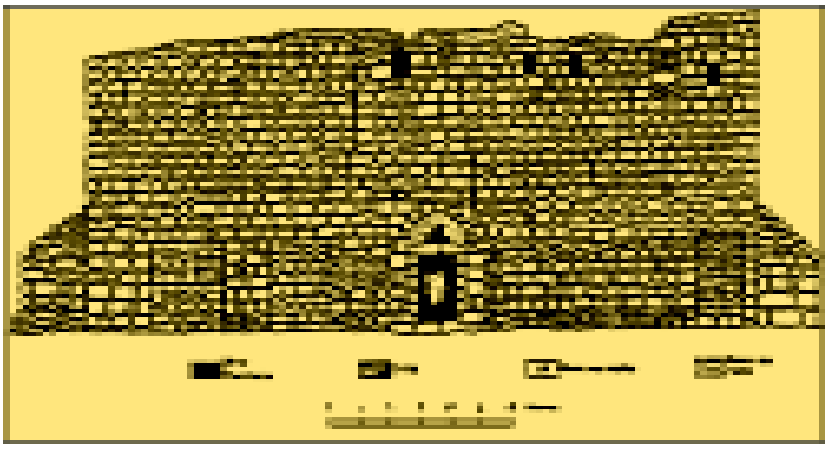

قلعة ذات حاج (رسم لواجهة المدخل)

الحجـرات. وبواجهـة القلـعة أحجـار منقوشة، يشير أحدها -وهو ما يزال في مكانه- إلى أعـمال ترميم تمت بالقلعـة قام بها المعلم أحمد الفقير سنة ٩٧١هـ. كما يوجد حجر آخر محفوظ في مركز إمارة حاج عليـه نقش يشير إلى تجديد عمارة القلعة والبركة في عهد السـلطان العثماني عبدالمجيد الأول سنة ١٢٦٦هـ.

وفي عهد الملك عبدالعزيز آل سعود، كانت نقـطة للجمارك السـعودية لفترة قصيرة، ثم نقلت إدارة الجمرك منها إلى مكان آخر.

الحائر

قرية تقع جنوب مدينة الرياض على ضفـة وادي حنيـفة بـالقرب مـن بلدة المنصورية عند تقاطع خط الطول ٥٠َ ٤٦ْ شرقـاً ودائرة العـرض ٢٧َ ٢٤ْ شمالاً. وتدخل حالـياً في نطاق الريـاض كحي من أحيائها. وهي ملتقى ثلاثة أودية هي: وادي حـنيـفـة، ووادي لُـحا، ووادي البعيجة. كـانت الحائر وما زالت عامرة كثيرة المزارع لتـتابع الاستيطان بها حتى الوقت الحاضر، ولـم تزل تحمل اسمها القديم. ويوجد بها كثير من المواقع الأثرية المهمة التي اكتشفت حـديثاً، إذ لم يكن لأهل الرياض علم بها بدليل خلو تقرير فيلبي Philby من ذكرها عند قيامه برحلته من الرياض إلـى الحائر فالخرج فجـنوباً حتـى وادي الدواسـر، ولو كان لأهـل الرياض علم بهذه المواقع لذكروها له.

ولعل أشهر تلك المواقع التي جرى فيها التنقيـب مؤخراً، ذلك المبنى الذي تقدر مـساحته بـ ٦٠م×١٠٠م تقريبـاً

آثار وحدات سكنية من مستوطنة الحائر

ويتكـون من وحدات سكـنية مختـلفة المساحـات يحيط بها سـور طويل غير منتظم يتراوح عرضه ما بين ٦٠سم إلى ٨٠سم ويظهر هذا السـور ويختفي في بعض المواضع.

كما توجد في مواقع الحائـر الأثرية منشآت مائية، سدود وآبار ومصائد مائية مختلفة الأحجام والتكوينات، إضافة إلى كثير من القطع الفخارية والحجر الصابوني وكسر الزجاج فوق سطوح تلك المواقع.

وقد اتضح من المجسات الاختبارية في الموقع أن الجدران مشيدة من الصخور المشذبة والمهذبة، ويصل عمق ما اندفن منها إلـى المتر، وأحياناً أكثر. ويـتضح أيضاً أن الموقع مستوطنة، منازلها مشيدة بالحـجارة المـقطـوعة بـطريـقة جـيدة ومرصوصة بطريقة منتظمة. ويلاحظ أن المونة الطينية والجصية قد استخدمت في بناء الجـدران. كما يوجد بـالقرب من الموقع مكان يعتقد أنه المحاجر التي اقتلعت منها الحـجارة المستخدمـة في عمارته، بالإضافة إلى أماكن أخرى وجدت فيها شظايا الحجارة، ربما كانت مواقـع قطع الحجارة وتهذيبها، أي ورش عمل.

ويحتوي الموقع على عدد من السدود تختلف أحجامها. أما سعتـها التخزينية فتحكمها المسافة الواقعة بين الحواف الجبلية التي تربـط بينها السـدود. وتتركز هذه السدود في هضبة جبلية تقع على مقربة من المـوقع وتشـرف عليـه، تتخـللهـا

مجموعة من الشعاب المنحدرة باتجاه وادي حنيفة. ويبنى السد غالباً على فتحة الشعيب قبل التقائه بوادي حنيفة مباشرة لكي يحجز ماءه المتدفق من على سطح الهضبة. والملاحظ أن المتانة صفة من صفات عمارة السدود في هذا الموقع، ذلك أن الجدار يتكون من عدد من صفوف الحجارة المتوالية حتى تصل بعرض الجدار إلى حوالي المتر ونصف المتر. وقد استخدم الطين والجص في ربط الحجارة وملء الفراغات بينها، بحيث لا توجد أماكن تتسرب منها المياه فتؤدي إلى انهدام السد. ويتفاوت ارتفاع جدران السدود بتفاوت ارتفاع حافات الجبال التي تربط بينها. فمن الجدران ما يصل ارتفاعه إلى ستة أمتار، ومنها ما يزيد أو ينقص قليلاً.

ويوجد من السدود في الموقع ما شيد بطريقة تجعله على شكل درج أو هرم، ويطلى ظهر كل صف من الصفوف المتدرجة بمادة طينية وجصية. ويوجد بالإضافة إلى السدود عدد من الآبار المطوية بالصخر، بعضها مدفون حتى فوهته وبعضها ما يزال يحتفظ بجزء من عمقه. كما تتفاوت الآبار في اتساع فوهاتها، فمنها ما تبلغ سعة فوهته متراً، ومنها ما يزيد عن مترين.

كما وجدت بقايا قنوات مشيدة بالحجارة ومرصوفة بطريقة جيدة، وقد استخدمت المونة الطينية والجصية في بناء جدرانها وفرش أرضياتها، ويمتد بعض تلك القنوات لمسافات طويلة. وتوجد أدلة على استخدام نظام السواقي في شبكة

أحد السدود في منطقة الحائر

الري في هذه المستوطنة. والساقي مجرى مائي باطنه مرصوف بالحجارة، وجوانبه محددة بألواح حجرية، واستخدمت المونة الطينية والجصية في ملء الفراغات والمسامات.

ويوجد في الموقع مواد أثرية منقولة تشمل كسر أوانٍ فخارية متفاوتة الأحجام ومتباينة الأشكال. وبعض الكسر ذات بطانة متنوعة الألوان، وبعضها يحمل طبقة تزجيج بلون أخضر أو أصفر، يُرجح أنها تعود إلى الفترة العباسية. كما وجدت كسر أوانٍ زجاجية، منها الشفاف وغير الشفاف، وهي تظهر بألوان متعددة منها العسلي والأخضر والأزرق.

وعثر حديثاً في الموقع على قطعة عملة من الفضة، التقطت من على سطحه. وبعد معاينتها وترميمها تبين أنها تعود إلى الفترة العباسية، وأنها من ضرب مدينة حَجْر (الرياض الحالية). وقد وجدت في بنبان قطعة شبيهة بهذه العملة من ناحيتي مادة الصنع والزمن وكذلك مكان الضرب، وعُدّت فلساً عباسياً ضُرب في هذا الموقع. ونشر عنها في مجلة عالم المخطوطات والنوادر، (١٩٧٧: مج١ ع١: ٤٨١-٤٩٨).

ويقدر أنّ الموقع ربما يعود إلى فترة ما قبل الإسلام، بوصفه مستوطنة من مستوطنات وادي حنيفة الرئيسية، وأنه استمر مستوطناً خلال الفترة الإسلامية المبكرة. ولا يزال الموقع محتاجاً إلى أعمال آثارية ميدانية لكي تتيسر معرفة كونه من المدن الإسلامية النشأة، أو أنه مستوطنة قديمة ولكنها استمرت عامرة بالسكان بعد مجيء الإسلام.

الحائِط والحُوَيِّط

الحويِّط واحة كبيرة على الطرف الشرقي من حرَّة خيبر، وإلى الجنوب الغربي من حائل بحوالي ٢٥٠كم، وتقع على خط الطول ٤٠َ٢٨ْ شرقاً ودائرة العرض ٢٥َ٥٩ْ شمالاً، واسمها التاريخي (فَدَك). أما الحائط فلعله اسم اتخذ لأن النخل المتشابك في الوادي يشبه الحائط، والحائط في اللغة: بستان النخيل. وهي في وهدة منخفضة في وسط الحرَّة يُنزل إليها من جميع الجهات. ويُظَنُّ أن الحائط كانت مستوطنة في فترة سابقة للإسلام، وممن سكنها بنو ثعلبة وأشجع. وتدعي بنو فزارة ملْكاً فيها ومقاماً، كما سكنها أخلاط من الناس، وينسب إليها بعض الرواة والمُحَدِثِّين.

أطلال قديمة من موقع الحويط

وكان الرسول ﷺ وهبها بعد فتح خيبر سنة ٧هـ إلى فاطمة $ وبقيت في أيدي الأشراف والخلفاء والأمراء يتداولونها حتى أواخر الدولة العباسية، ثم انقطعت أخبارها. وقد أوردت المصادر التاريخية والجغرافية نبذاً مختصرة عن الحائط (فدك) يتضح منها أنها كانت واحة ذات تربة خصبة غنية بالمياه الوفيرة المستخرجة من الينابيع، ويزرع فيها النخيل والقمح والشعير. ومن عيون الحائط المعروفة: عين أبو سليمان، وعين جريداء، وعين الغدير، وعين الفار، وغيرها. ويتبع الحائط اليوم عدد من القرى المأهولة، بعضها موغل في القدم. ومن الطرق المشهورة التي ارتبطت بالحائط، طريق الحج العراقي (درب زبيدة) الذي يصله بها طريق فرعي من محطة النقرة، بالإضافة إلى طرق قديمة شاقة تجتاز منطقة الحرَّة إلى خيبر وحائل. وقد أصبحت هذه الطرق اليوم في طي النسيان بعد توافر وسائل المواصلات الحديثة وطرق الإسفلت.

والحائط والحويط من المواقع الأثرية المهمة في واحة فدك، إذ يمكن مشاهدة بعض الخرائب والأطلال المبنية بالأحجار السوداء فيها، كما تنتشر بها آثار الرسوم الصخرية التي تصور أشكال الجمال والوعول والماشية. بالإضافة إلى أحجار منفصلة عليها رسوم آدمية رسمت بطريقة النحت. كما يوجد فيها عدد من النقوش

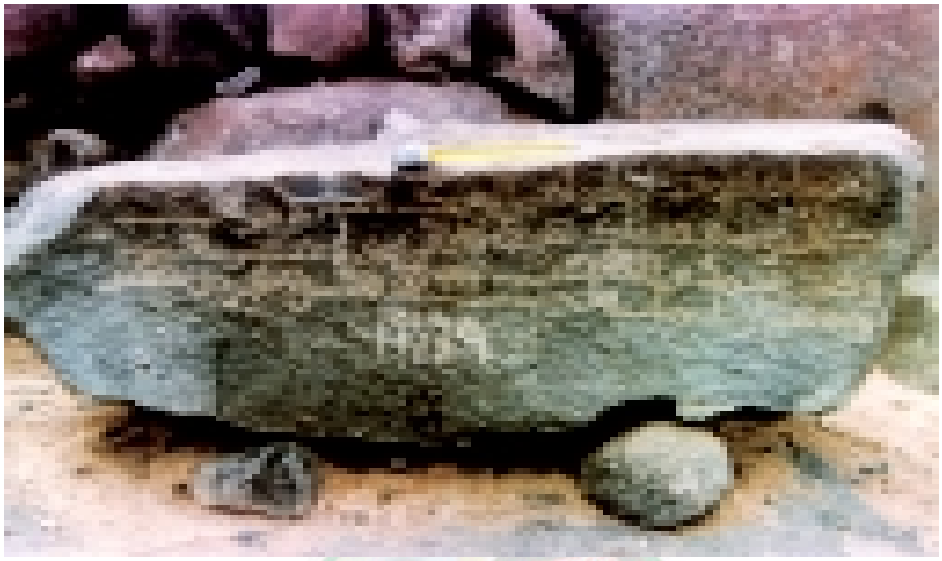

كتابة على صخرة من موقع الحويط

الثمودية والكتابات الإسلامية. وتتميز النقوش الإسلامية في المنطقة بوضوحها وكتابتها بأسلوب مبتكر. وبعض تلك النقوش مؤرخة، منها نقش مؤرخ سنة ١٣٢هـ، وآخر مؤرخ سنة ١٥٠هـ. وقد عثر في الحويط سنة ١٣٩٥هـ على حجر عليه أبيات من الشعر كتبت بالخط الكوفي البديع، مؤرخة في شعبان، سنة ٣٠٩هـ، ونص الكتابة:

بادر زمانك قبل وقت رحيله
واعمل ليومك يا أخا الإسراف
فكأن يومك قد أتاك بغصة
فأزال عنك لذيذ عيش صاف

وكتب محمد بن يعقوب يوم الأربعاء لسبع بقين من شعبان سنة تسع وثلاثمائة.

الحِجْر (مدائن صالح)

تقع الحجر على بعد ١٥كم إلى الشمال من الخريبة التي يعتقد أنها موضع مدينة دادان القديمة، وعلى بعد ١٨كم من مدينة العلا، على خط الطول ٥٧َ ٣٧ شرقاً ودائرة العرض ٤٧َ ٢٦ْ شمالاً. وهي في وسط سهل فسيح جداً تحيط بها سلسلة من الجبال التي تبدو من بُعد وكأنها جدار أو سور يفسر معنى الاسم.

والحجر هو الاسم القديم لهذا الموقع أو القرية، الذي ورد في المصادر القديمة من نصوص يونانية ورومانية ومصادر ومؤلفات عربية. وما يزال شائعاً ومتداولاً في المنطقة رسمياً وشعبياً حتى اليوم.

وهنـاك اسم آخر للـموقع هو (مـدائن صالح) وهو معروف في المنطقة، ولكنه الاسم الوحيد المعروف تقريبـاً والمتداول خارجها، مع أنه لم يرد في أي مصدر من المصادر القديمة. وقد أطلق هذا الاسم (مدائـن صالـح) علـى الحجـر خلال العصور الإسلامية المتأخرة. ولعل المؤرخ والجغرافي حمد الجاسر كان أول من لفت النظر إلى ذلك، عندما ذكر أن أول من أطلق اسم مدائـن صالح على الحجر، فيما ظـهر له، الكاتب الـتركي محمد أديب. ولكن الخياري المدني سبق محمد أديب بنحو قرنين من الزمن في إطلاق الاسم المذكـور على الحجـر ومع ذلك فالكاتبان يعدان من المتأخرين.

واجهة مقبرة منحوتة في الصخر
الحِجْر (مدائن صالح)

كانت الحجر في العصور القديمة من أكبر المراكز الحضارية في شمال الجزيرة العربـية. وقد أدت دوراً حضارياً بـارزاً في تاريخ العرب قبل الإسلام. وفي نهاية القرن الأول ق.م، وخلال القرن الأول الميلادي حلت الحجر محل دادان أو العلا عاصمة مملكة لحيـان، وأصبحت مدينة رئيسية في المنطقة، ومركزاً سياسياً وتجارياً وحضاريـاً لا يضاهى في شمـال غرب الجزيرة العربية.

وقد ورد في القرآن الكريم عدد من الآيات الدالة على ازدهار الحجر والرقي الحضاري الـذي بلغه أهلهـا في مجال النحت والعمارة، فمن ذلك قوله تعالى في سورة الحجر

﴿ولـقد كـذب أصـحاب الحـجر المرسلين. وآتـيناهم آياتنـا فكانوا عنهـا معرضين. وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين﴾ [الحجـر: ٨٠-٨٢]. والحجر وادٍ بين المدينة والشام.

وتقع آثار مديـنة الحجر القديمة في السهول الجنوبية تقريباً حيث ينتشر فيها عدد كبير من الصخور المنعزلة التي نحت فيها أصحاب الحجر الحجرات الواسعة،

التي نشاهدها اليوم. وقد اشتملت المدينة على عدد من المدافن، شُكِّلت واجهاتها بطرز معمارية فخمة، أبرزت الفن العربي القديم في أروع صوره وأجمل إبداعاته وعكست التقدم والرقي الحضاري الذي وصلت إليه حضارة العرب في العصور القديمة.

ويلاحظ أن ما يقرب من نصف عدد هذه الواجهات يشتمل على لوحات تأسيسية، تتضمن، إلى جانب المعلومات الأخرى عن صاحب المقبرة، تاريخ النحت واسم المعماري أو المعماريين الذين نحتوها. وهي أسماء عربية مثل: عبد عبادة، وافتح بن عبد عبادة، ووهب الله بن عبد عبادة، ووهب بن عفصة، وخلف الله بن مملح، وحور بن أحي، وهاني بن عبيدة. ويلاحظ أن أقدم تاريخ مسجل يعود إلى مارس -أبريل عام ١ ق.م، ويعود أحدث تاريخ إلى مايو-يونيو عام ٧٥ م.

ولا بد من الإشارة إلى أن هناك عدداً من المقابر غير مؤرخة ولا تحمل واجهاتها عناصر زخرفية، ومن المحتمل أنها تعود إلى فترة أسبق ومن صنع قوم آخرين، أو أنها تعود إلى طبقة أقل ثراء في المجتمع. ذلك أن الكتابات المسجلة في اللوحات المذكورة تدل على أن الحجر في هذه الفترة من القرن الأول الميلادي، كانت واقعة تحت حكم الأنباط الذين اتخذوا مدينة البتراء، الواقعة في وادي موسى بالأردن، عاصمة لهم. وقد

واجهات مقابر من العصر النبطي – الحجر

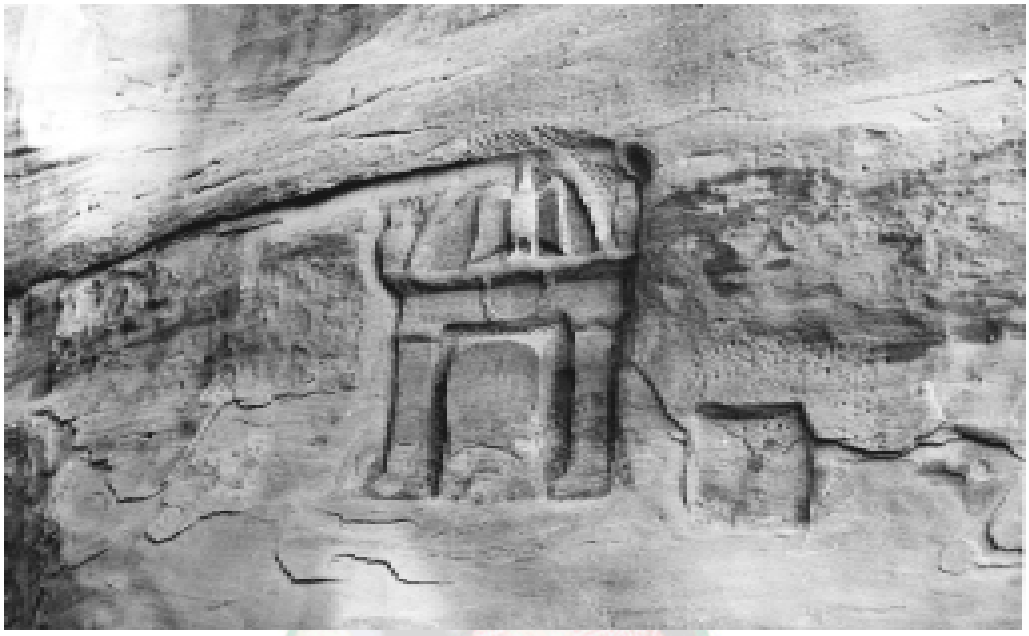

حنية تمارس عندها الطقوس الدينية – الحجر (مدائن صالح)

سقطت مملكة الأنباط في يد الرومان سنة ١٠٦م، إثر اجتياح البتراء. وما يزال الباحثون في حاجة ملحة إلى مادة علمية جديدة تجيب عن كثير من التساؤلات بشأن الحجر وعلاقتها بالثموديين.

ولم يقتصر أهل الحجر على نحت هذه الحجرات التي ذكرناها بل نحتوا الصخر أيضاً، لإقامة طقوسهم الوثنية في معابد خاصة، كما هو الحال في جبل أثلب. كما شمل النحت كذلك حفر الآبار الواسعة في الأراضي الصخرية وغيرها لاستخراج المياه.

ولإعطاء فكرة عن مادة النصوص المنقوشة على واجهات المقابر المنحوتة، نورد هنا ترجمة حرفية لأحد هذه النصوص المكتوبة داخل المربع المنحوت في أعلى مدخل إحدى هذه المقابر الصخرية بالحِجْر. وهذا النص مؤرخ في شهر طيبة من السنة ٤٤ من حكم الحارثة الرابع ملك الأنباط، ويتكون من عشرة أسطر هي على النحو التالي:

١) هذا القبر الذي نحته عبد عبادة بن اريبس لنفسه.

٢) ولوائلة ابنته ولأبناء وائلة هذه وبناتها وأولادهم ليقبروا في المقبرة هذه.

٣) ولا يسمح لوائلة وبنيها أن يبيعوا أو يمكنوا أو يؤجروا المقبرة هذه أو.

٤) يكتبوا عليها أي حق لأي شخص إلى الأبد ولكن المقبرة هذه هي فقط لوائلة وأبنائها.

٥) وبناتها وأطفالهم غير قابلة للتحويل لأي شخص آخر إلى الأبد ويتعين على وائلة وأولادها أنه إذا حدث أن أحور شقيق عبد عبادة.

٦) وجد نفسه في الحجر وأدركه الموت أن يدفنوه وليس غيره في المقبرة هذه.

٧) ولا يخرجه أحد ومن يغير ولا يرضخ لما هو مكتوب أعلاه.

٨) سوف يغرم لسيدنا نقداً ألفين من العملة الحارثية في شهر.

٩) طيبة سنة أربعين وأربع من حكم الحارثة ملك الأنباط راحم شعبه.

١٠) افتح بن عبد عبادة، النحات نحتها.

وقد بدأت الدراسات الآثارية في الحجر بوصول الرحالة الإنجليزي تشارلز داوتي Doughty للمنطقة عند نهاية سنة ١٨٧٦م، وكان أول أوروبي يصل إلى هناك لهذا الغرض، فأعدّ مخططاً أولياً للموقع ورسم بعض واجهات المقابر ونسخ عدداً من النقوش. وتلاه بعد سنوات قليلة الفرنسي شارل هوبر C. Huber الذي لفت النظر إلى النقش الذي يرجع إلى سنة ٢٦٧م، ثم الألماني يوليوس أويتنج J. Euting. وخلال العقد الأول من القرن الميلادي الحالي جاءت الدراسة المفصلة والموسعة لآثار الحجر البارزة على يد الباحثين الفرنسيين جوسن Jaussen وسافنياك Savignac اللذين وضعا الأساس العلمي المتين لكل الدراسات الأثرية اللاحقة.

وفي سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م نفذت الإدارة العامة للآثار والمتاحف بالمملكة أول حفرية أثرية في الحجر، ومع أن التنقيب استمر بضعة مواسم إلا أنه لم يسفر عن العثور على مادة علمية جديدة تلقي ضوءاً على تاريخ الحجر في الفترات السابقة لحضارة الأنباط. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى قصر المدة التي تم فيها الحفر، بالإضافة إلى عدم التوسع الرأسي في الحفر.

نهاية الحجر. لا نعرف على وجه التحديد متى كانت نهاية الحجر بوصفها مدينة رئيسية في المنطقة، إلاّ أنّ أحدث نقش وجد فيها يرجع تاريخه إلى القرن الرابع الميلادي، وقد ورد فيه اسم عدنان رئيس الحجر. كما عُثر على نقش سُجل على جدار صخري بين مقبرتين مؤرخ سنة ٢٦٧م وكتب بنوعين من الخطوط، أحدهما الخط النبطي، والآخر خط عرف عند الباحثين بالخط

الثمودي، وهو في حقيقته مشتق من الخط المسند.

وقد أفل نجم الحجر وحلت محلها (قرح)، مدينة وادي القرى وعاصمته، إذ كانت هي المدينة الرئيسية عند ظهور الإسلام. وأصبحت معلوماتنا عن تاريخ تلك الفترة وما قبلها بقليل، مستقاة من صفحات الكتب بالدرجة الأولى، بسبب عدم اكتشاف نقوش عربية قديمة مسجلة على الواجهات الصخرية.

وفي العصور الإسلامية كانت الحجر محطة على طريق الحج الشامي، وقد تحدث عنها عدد من الكُتّاب المسلمين الذين مروا بها، أو ربما نقلوا عن غيرهم. وممن كتب عنها المقدسي، الذي وصفها بقوله «الحجر صغيرة حصينة، كثيرة الآبار والمزارع، ومسجد صالح بالقرب، على نشزة مثل الصفة، وقد نقر في صخرة، وثم عجائب ثمود وبيوتهم» (١٩٨٧: ٨٤).

كما تحدث عنها الحسن الأصفهاني من أهل القرن الرابع الهجري أيضاً، وقال:

> الحجر، حجر ثمود، قرية وسوق، قرية من منازل ثمود، وهم لا ينزلون منازل ثمود، ينزلون ناحية منها، وعن يسار ذلك فيما بينه وبين البحر جبل يقال له شيبان، ينبت به البان والحبة الخضراء، به النخيل في مواضع كثيرة، وفيها معادن الصفر والذهب والفضة (١٩٦٨: ٣٩٧-٣٩٨).

وهذا يدل على أن الحجر كانت في القرن الرابع الهجري قرية ما تزال قائمة، وقد استمرت كذلك فيما يبدو، على مر السنين. وفي العصور الإسلامية المتأخرة، وبسبب الأوضاع الأمنية المتردية آنذاك، بنى الوالي العثماني في دمشق ١١٥٦-١١٧٠هـ قلعة في الحجر لحراسة الحجاج

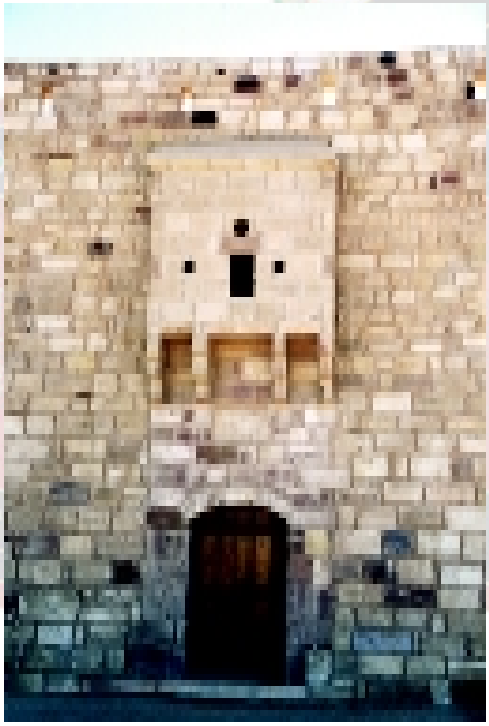

مبنى محطة القطار العثماني (مدائن صالح)

محطة سكة حديد الحجاز – الحجر (مدائن صالح)

وخدمتهم. وبداخل القلعة بئر يحكى أنها بئر الناقة التي ذكرت في القرآن الكريم وكان لها شرب يوم ولـلثموديين شرب يوم معلوم. وأنشئت خارج القلعة بركة كبيرة لسقيا الحجاج.

وبعد مد سكة حديد الحجاز أصبحت الحجر من أكبر المحطات على هذا الطريق، بدليل وجود عدد كبير من المباني والمنشآت التي شملت ورشاً لخدمة القطارات وصيانتها.

الحَديثة

تقع الحديثة على خط الطول ٣٧ْ ٠٨َ شرقاً ودائرة العرض ٢٨َ ٣١ْ شمالاً، على مسافة ٢٥كم إلى الشمال من القريات بمنطقة الجوف. ويوجد الموقع الأثري للبلدة القديمة على يمين الطريق المعبد المتجه إلى نقطة الحدود السعودية الأردنية، قبل مركز الجمارك السعودية بحوالي ٥كم.

ويتضح من وضع بلدة الحديثة أن السكنى استمرت بها في الموقع القديم نفسه إذ توجد في وسط القرية بقايا منشآت مائية، أبرزها قنوات ري قديمة محفورة تحت سطح الأرض. وتظهر على السطح بعض فتحات هذه القنوات التي يظهر أنها بنيت باستخدام أحجار البازلت. وقد اختفت أجزاء كبيرة من

هذه القنوات في الوقت الحاضر، بسبب الامتدادات العمرانية والزراعية الحديثة التي غطت جزءاً كبيراً من الموقع القديم.

وإضافة إلى القنوات، هناك عدد من الآبار القديمة المنتشرة في وسط القرية القديمة. ويلاحظ تعدد هذه الآبار وقرب بعضها من بعض، إضافة إلى أنها مطوية بالحجارة بطريقة متقنة تشبه طريقة بناء قنوات الري، مما يؤكد قدم هذه الآبار وأنها تعود إلى فترة تسبق مرحلة البناء الحالي في القرية.

وتشير تقارير المسح الآثاري الذي قامت به إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف إلى وجود عدد من المدافن القديمة على الحافة الجنوبية الغربية للموقع، يعتقد أنها تعود للعصر النبطي. كما يشير وجود قنوات الري والآبار والمدافن إلى أن المنطقة السكنية التي تتزامن مع تلك المنشآت تقع تحت المباني الطينية الحديثة، لأن وجود الآبار المطوية داخل البيوت، وفي بعض الأحيان في الطرقات، إضافة لوجود المدافن على أطراف البلدة، يؤكد ذلك. ويلاحظ أن منشآت موقع الحديثة تماثل إلى حد كبير منشآت موقع إثرة الواقعة على مسافة ٤٠كم إلى الشرق منها.

حَزْم عُقيلة

يطلق هذا الاسم على منطقة تقع في شرق وادي الخرج على خط الطول ٢٠َ ٤٧ْ شرقاً ودائرة العرض ١٣َ ٢٤ْ شمالاً. ويعتقد أن الجزء الأول من الاسم جاء من طبيعة المكان التي تأخذ شكل الحزم، وهو الأرض المرتفعة قليلاً. أما الجزء الثاني من الاسم فربما كان اسماً لقبيلة أو لفرع من قبيلة، ولم نهتدِ إلى مصدر مبكر ورد فيه ذكر الموقع بالاسم الذي نعرفه به اليوم، ونرجح أن للموقع اسماً آخر نجهله في الوقت الحاضر.

ويتمثل العمل الآثاري في الموقع بمسح مدته قصيرة، قام به فريق من إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف سنة ١٩٧٨م، وبمسح آخر قام به عبدالعزيز بن سعود الغزي سنة ١٩٨٨م ونفذ فيه مجساً اختبارياً.

وتشير نتائج العمل الآثاري الذي أنجز، إلى أن الموقع يمثل مستوطنة يبلغ طول ما بقي منها كيلاً واحداً، وعرضها نصف كيلومتر. وتدل نتائج الحفريات أيضاً على أن استيطان الموقع يؤرخ بنهاية الألف الأول ق.م، وبداية القرون الميلادية، وربما قبل ذلك. ولم تكتشف مادة أثرية في الموقع يمكن أن

تشخص بشكل قاطع على أنها تعود للعصر الإسلامي، إلا أن وجود الزجاج وأصناف من الآنية الفخارية يرجِّح استيطان الموقع في الفترة الإسلامية المبكرة. ويبدو من دراسة المادة الأثرية ونتائج العمل في المجس الاختباري أن الاستيطان في الموقع لم يستمر طويلاً.

ويحتوي حَزْم عُقيلة على وحدات معمارية استخدم في تشييدها الطوب الطيني المجفف تحت أشعة الشمس، وللوحدات جدران يبلغ سمك الجدار منها متراً واحداً، وفي بعض الأحيان يكون أقل بقليل. كما استخدمت مادة الخشب وأغصان الأشجار المغطاة بطبقة من الطين في سقف المنازل. ويتبين مما كُشف عنه في المجس أن جدران الغرف وأرضياتها مبطنة بطبقة ملاط جصية جددت مرات عديدة.

وتشتمل المادة الأثرية المكتشفة على الآتي:

١) مجموعات من الأواني الفخارية المدهونة، وغير المدهونة، والمزججة.
٢) ملاعق فخارية.
٣) أدوات للصرف الصحي.
٤) أوانٍ مصنوعة من الحجر الصابوني ذي اللون الرمادي.
٥) أوانٍ زجاجية زجاجها معتم.

حِسْمى وجبال اللوز

حسمى هضبة في شمال غرب المملكة العربية السعودية تمتد من غرب تبوك حتى وادي رم بالأردن، أما جبال اللوز فهي جزء من الحجاز، وتتخللها الأودية وبعض السهول. ويشكل جبل اللوز سلسلة من أعلى السلاسل الجبلية، وترتفع أعلى نقطة في الجبل إلى حوالي ٢٧٨٥م فوق مستوى سطح البحر. ويمكن تحديد قمة الجبل بأنها على خط الطول ١٨َ ٣٥ْ شرقاً ودائرة العرض ٤١َ ٢٨ْ شمالاً. وتمتد سلسلة جبل اللوز من الناحية الشمالية الشرقية إلى الجهة الجنوبية الغربية من بداية الطرف الجنوبي لوادي عفال. ويمكن مشاهدة قمم هذه السلسلة بسهولة من مسافة بعيدة. والنقاط الرئيسية التي يمكن مشاهدة القمم العالية منها هي: الزيتة والشرفة شمالاً، وقرية المثلث جنوباً، والبدع شرقاً. أما حسمى نفسها فقد ورد ذكرها في بعض المصادر الإسلامية التاريخية والجغرافية. وورد أن الرسول ﷺ بعث زيد بن حارثة في سرية إلى حسمى لحرب قبيلة جذام. ويذكر حمد الجاسر أن أهل تبوك يرون جبل حسمى في غربيهم، وفي شرقيهم شروري. كما ذكرت حسمى في قصائد بعض الشعراء المتقدمين؛ قال أحدهم:

جاوزن رمل أيلة الدهاسا
وبطن حسمى بلدا هرماسا

ويقول كثير:

سيأتي أمير المؤمنين، ودونه
جماهير حسمى: قورها وحزونها
تجاوز أصدائي بكل قصيدة
من الشعر مهداة لمن لا يهينها

ومن الأوصاف التي تروى عن جبال حسمى أنها تحتوي على نباتات كثيرة. وذكر ياقوت الحموي أنها «مملوءة جبالاً في كبد السماء متناوحة ملس الجوانب، إذا أراد الناظر النظر إلى قمة أحدها فتل عنقه حتى يراها بشدة، ومنها ما لا يقدر أحد أن يراه ولا يصعده، ولا يكاد القتام يفارقها».

أما القمم الأخرى فتصعب رؤيتها أو الصعود إليها. ويفهم من قول النابغة أنّ القتام لا يفارق جبال حسمى، فهو كالحزام لها، وذلك قوله:

فأصبح عاقلا بجبال حسمى
دقاق الترب مُحْتَزِم القتام

ويروى في حديث عن الرسول ﷺ أنه قال «بشر رُكَيْب السُّعاة بقطع من جهنم مثل قُوْر حسمى». والقور جمع قارة وهي دون الجبل.

غير أن المصادر العربية المبكرة لم تذكر معلومات أخرى عن طبيعة المنطقة وسكانها. وفي السنوات الأخيرة زار بعض الرحالة الأوروبيين بعض أطراف منطقة حسمى وقدموا بعض المعلومات المختصرة المتعلقة بالطبيعة الجغرافية والسكان والمواقع الأثرية، ولم تتوغل البعثات الآثارية الأجنبية المتخصصة التي وفدت إلى أرض المملكة في الستينيات في منطقة حسمى أو بالقرب من جبل اللوز.

أما الكتاب المعاصرون من أبناء المملكة، أمثال حمد الجاسر في كتابه في شمال غرب الجزيرة العربية، وعاتق البلادي في معجم معالم الحجاز، فقد أورد كل منهما بعض المعلومات عن المنطقة.

وهناك أطروحة للدكتوراه تقدم بها علي غبان ١٩٨٨م عن المحطات والمنازل القديمة على طرق الحج القادمة من مصر وفلسطين والشام التي تمر بمحاذاة حسمى، مما يلي الساحل، أو الطرق الداخلية التي تتصل بموقع تبوك. وقد اشتملت الدراسة على معلومات عن الحضارة الإسلامية وتطورها في المنطقة.

كما قامت إدارة الآثار والمتاحف السعودية بوزارة المعارف برصد بعض المحطات القديمة على طريقي الحج المصري والشامي. بالإضافة إلى مسح الكتابات والنقوش في المنطقة.

ومنطقة حسمى غنية بآثارها القديمة والإسلامية بسبب موقعها الجغرافي الذي يُعَدّ المنفذ الرئيسي الذي يربط شمال غرب الجزيرة العربية مع بلاد الشام وفلسطين ومصر. وأهم آثار المنطقة:

أبا العَجَلْ. توجد عند سفح قمة جبل اللوز من جهته الشرقية وعلى الضفة الغربية لوادي الأبيض آثار لمستوطنة قديمة تقع عند مصب منحدر يغذي وادي الأبيض، ويبعد عن جبل اللوز، أقرب مركز للمنطقة، حوالي ٤٥كم جنوب مركز الزيتة، بينه وبين مدرسة حُمَيْط الابتدائية التي تقع عنه إلى الشمال منه بنحو ٨كم. ويسمى هذا الموقع عند أهل المنطقة (أبا العجل). ويشاهد في الموقع بعض أساسات الجدران الحجرية السميكة التي كان الهدف منها، على ما يبدو، جعلها مصدات للسيول الساقطة من المصب المنحدر نحو الوادي، وربما استخدمت بعض الأساسات الأخرى للاستيطان. وتنتشر في الموقع كتل حجرية كبيرة من الرخام مقطوعة أو معدة للقطع والتهذيب. وهذه الأحجار بعضها أسطواني الشكل يصل قطر الحجر الواحد ٣٠سم، وطولها حوالي ٦٥سم. أما الأحجار المستطيلة فأطوالها ١٠سم × ٣٥سم. وتظهر في مكان مجاور من مسيل الوادي آثار لدوائر حجرية قطر الواحدة نحو ٢١٠سم. ويوجد من بداية المصب آثار لطريق مرصوف بالحجارة محدد المعالم، يصعد لمسافة بعيدة إلى سطح الجبل في الجهة الشمالية الغربية من أعلى قمة فيه. ويصل عرض هذا الطريق إلى حوالي ثلاثة أمتار، ويبدو أنه بُني لجلب أحجار الرخام المتوافرة في أعلى الجبل. ويمكن مشاهدة منطقة الرخام البعيدة بالعين المجردة، ولكن يستغرق الوصول إلى منطقة قطع الرخام وقتاً طويلاً. وتعود تسمية الموقع باسم أبا (العجل) إلى اعتقاد أهل المنطقة بأن الأحجار كانت تنقل من القمة إلى السهل بواسطة سحبها على عجلات، وذلك عند مشاهدتهم لأحجار رخام أسطوانية الشكل.

ولكن الذي يتضح أن هذا الموقع كان مكاناً لقطع الأعمدة الرخامية وتهذيب القطع الرخامية الأخرى بأشكال أسطوانية ومربعة ومستطيلة، ثم تنقل للمدن القديمة التي كانت عامرة وتقع على الطرق التجارية التي تمر بمنطقة حسمى. ومن المدن القديمة التي يمكن أن تكون قد استفادت من الرخام قُرَيَّة التي تقع إلى الشمال الغربي من تبوك بحوالي ٧٠كم. وتشاهد بعض الرسوم الحيوانية بالقرب من موقع أبا العجل، ولكن من غير المؤكد

أنها من رسم العاملين ممن كانوا يصنعون الأحجار الرخامية. فعلى سبيل المثال يشاهد على الحافة الغربية لوادي الأبيض، في الجهة الشمالية من موقع أبا العجل، لوحة صخرية بمواجهة الشمال الشرقي ترتفع نسبياً عن الوادي، وعلى الصخرة في مساحة ٢٤٥سم × ١٥٠سم تنتشر رسوم لتسع بقرات بأحجام مختلفة، وستة أشكال آدمية، بالإضافة إلى رسوم لوعول وكلاب وجمل واحد. وتتميز الأبقار بأن لها قروناً مقوسة للأمام وقروناً متعرجة مرتفعة للأعلى، وقروناً منثنية للأمام من فوق رؤوسها.

وتجاور أبا العجل من الجهة الجنوبية على الحافة الغربية لوادي الأبيض مجموعة من الرسوم الآدمية والحيوانية، وهي أربعة أشكال آدمية في أوضاع وحركات راقصة. كما يشاهد في اللوحة نفسها أشكال لبعض الوعول.

وإلى الجنوب من آثار أبا العجل يشاهد شعيب المُحَرَّقْ، وهو أحد روافد وادي الأبيض، وفيه بئر قديمة. وبالقرب منه صخرة عالية مرتفعة في مسيل الوادي الرئيسي في الزاوية الشمالية عليها مجموعة من رسوم الأبقار، ولكنها غير دقيقة الرسم كما هو الحال في الرسوم الأخرى.

أم سيسبان. توجد بمحاذاة موقع أبا العجل، وعلى الحافة الشرقية لوادي الأبيض مجموعة من الصخور المرتفعة،

رسومات صخرية من موقع (أبا عجل)–جبل اللوز

وعليها بقايا رسوم دقيقة للأبقار والوعول، مع وجود بعض الرسوم الآدمية أحياناً. ويسمى هذا الموقع عند أهل المنطقة بأم سيسبان، ويبعد عن آثار أبا العجل حوالي ١,٥كم. ويمكن عرض هذه المناظر على النحو التالي:

١) صخرة عالية عليها رسوم لمجموعة من الأبقار في مواجهة الشرق، وعددها ثلاث أبقار، أما الرسم الرابع فلبقرة لم تكتمل تفاصيل رسمها.

٢) صخرة أخرى مقابلة للشمال الغربي، وعليها رسم ثور كبير، له قرنان يرتفعان إلى الأعلى وذنب طويل، وخلفه رسم آدمي. وإطار المنظر رسوم أخرى صغيرة. وتبلغ المساحة المرسوم عليها نحو ٨٥سم × ٣٣سم.

٣) صخرة مجوفة رُسم عليها ثور بقرنين يرتفعان إلى الأعلى، وفوق الرقبة شكل آدمي.

٤) صخرة في الجهة الجنوبية مواجهة للشمال رُسم عليها مجموعة من الأشكال الحيوانية منها عجول ووعول.

الزريطة. تقع آثار الزريطة في وادي قصيبة إلى الشمال من موقع أبا العجل بحوالي ١٠كم، على يسار المتجه غرباً على امتداد وادي الأبيض. وهي على الحافة الشمالية لمسيل الوادي المنحدر من الغرب إلى الشرق ليلتقي بوادي الأبيض. والموقع بقايا مستوطنة قديمة تُشاهد منها الأساسات الجدارية للغرف السكنية وبقايا أسوار وأبراج. كما تشاهد في وسط الموقع بعض الأحجار المرتكزة على شكل نصب حجرية. ولعل هذا الموقع كان يشكل مركزاً تجارياً قديماً على الطريق البري الذي يتجه مع حافة وادي الأبيض الغربية.

الجش. يوجد إلى الشمال من آثار الزريطة بحوالي ٣كم موقع أثري صغير يعرف باسم الجش أو مصيبون، وهو يقابل مدرسة حميط من الغرب. ويشاهد في هذا الموقع آثار لأساسات حجرية تشكل مستوطنة قديمة لعلها ترتبط بآثار الزريطة في وادي قصيبة.

وعلى طرف مسيل وادي الأبيض، بالقرب من موقع الزريطة، تُشاهد صخرة مجوفة رُسمت عليها أشكال حيوانية وآدمية.

جبل حيفاء. تقع آثار جبل حيفاء إلى الناحية الجنوبية الغربية من آثار أبا العجل بحوالي ١١كم. وتنتشر الآثار عند التقاء وادي الوُدَى مع وادي الأبيض. وتتركز آثار هذا الموقع في

الجهة الجنوبية لجبال حيفاء، وهي نهاية جبل اللوز. وتشكل آثار هذه المنطقة موقعاً أثرياً كبير الحجم لمستوطنة حضارية في فترة ما قبل الإسلام. وتبدو آثار الموقع في وسط سهل، وتشاهد دوائر حجرية كبيرة على سفوح التلال لعلها كانت أحواشاً أو حاويات يستخدمها المستوطنون في العصور القديمة. كما تتضح آثار الامتدادات الجدارية على شكل مبانٍ مستطيلة الشكل، حجارتها مرتفعة عن سطح الأرض تبدو كما لو أنها مقابر قديمة، كما لوحظت آثار لآبار قديمة مطوية. وقد شوهدت بعض الأحجار وعليها نقوش متأخرة بخط المسند، مما يدل على أن هذا الموقع ربما يعود لفترة الحضارة العربية النبطية القديمة في القرن الأول ق.م والأول م. وتمتد هذه المستوطنة لمسافة تصل إلى ٢كم من الشمال إلى الجنوب.

وتوجد على بعد ٤كم تقريباً إلى الشمال الغربي من الموقع الأثري الرئيسي بقايا أثرية قديمة على سفح جبل حيفاء من الجهة الشرقية في مسيل الوُدَى. ويتبين في هذا المكان آثار لمجموعة من المقابر القديمة المبنية على شكل رجوم وتحيط بها أبنية منتظمة.

وادي حجية. تقع آثار وادي الحجية إلى الجنوب الشرقي من مركز الشرف بحوالي ١٨كم، وتعرف باسم (نصلة الجرة). وتبعد عن آثار أبا العجل بحوالي ٣٠كم إلى الشمال الغربي منه.

ومما يلفت النظر في هذه المنطقة وجود رسوم صخرية لأشكال حيوانية في غالبيتها تمثل أشكال أبقار أو عجول، وقد رسمت على واجهات صخرية كبيرة. وبعض هذه الحيوانات رسم بطريقة فنية تعبيرية، ويزيد عدد الأشكال على الواجهات الصخرية على خمسة عشر شكلاً، رسمت بأوضاع مختلفة. فبعضها ظهرت قرونها مجتمعة على شكل خرطوم الفيل، وبعضها تبدو كما لو أنها أشكال تجمع بين البقرة أو العِجْل والفيل، ولكنها للأولى أقرب. ومن أبرز الرسوم التي تسترعي الانتباه رسمٌ لبقرة أو عجل كبير الحجم يعلوه رسم آخر مماثلٌ له، ولكنه أصغر حجماً وخطوطه غير مكتملة. كما ظهر حول الرسم سبعة أقراص بحيث يمثل كل قرص دائرتين متداخلتين. ويحيط بهذا الرسم شكل شبه دائري يأخذ في مظهره العام وجه إنسان يلتفت إلى اليسار، فتظهر الجبهة والأنف والشفتان والذقن. وتجدر الإشارة إلى أن بعض رسوم

رسوم صخرية لحيوانات في موقع وادي حجّية (نصلة الجرّة) – حسمى

الأبقار تظهر عليها نقوش عربية قديمة مما يوحي بأن هذه الرسوم الآدمية والحيوانية تعود للفترة العربية القديمة أو العربية النبطية.

أبا البيبان. تبعد آثار أبا البيبان إلى الشرق من جبل اللوز، وتقدر المسافة بين أبا البيبان وأبا العجل بحوالي ٣٠كم. وبالقرب منها مركز بَجْدة الحكومي الذي تبعد آثار أبا البيبان عنه شمالا بحوالي ٣كم. والمنطقة مضيق بين جبال عالية منفردة أحياناً ومتصلة أحياناً أخرى. ويبدو أن أهل البادية أطلقوا لفظ أبا البيبان على الموقع بسبب وجود رسوم حيوانية وآدمية في إطارات على هيئة محاريب غائرة تشبه الأبواب على الواجهة الجنوبية لأحد الجبال.

فعلى صخرة ملساء بطول عشرة أمتار وارتفاع ستة أمتار تقريباً توجد آثار لرسوم آدمية وحيوانية في أوضاع مختلفة. فتظهر في صف واحد رسوم بدائية لخمسة أشكال، أصغرها الشخص الواقف في الجهة الشرقية، وأكبرها الشخص الواقف في الناحية الغربية. ويجاور هذا الصف من الناحية الغربية، على مستوى أقل من انتظام الصف، شخصان آخران. وعلى بقية الصخرة رسوم حيوانية تمثل الوعول والنعام والجمال والأشكال الآدمية. وهناك بعض الكتابات القديمة

غير الواضحة. كما يظهر على صخرة ساقطة في الجهة المقابلة لهذه اللوحة من الناحية الجنوبية الشرقية مجموعة من الرسوم الحيوانية، خاصة الوعول ذات القرون الطويلة. وتظهر أيضاً بعض النقوش العربية الجنوبية.

وفي لوحة أخرى تجاور اللوحة الأولى من الغرب بحوالي خمسة أمتار مزيد من الأشكال الآدمية، منها رسوم لثلاثة أشخاص في صف واحد يظهر فيها الجزء العلوي من الجسم فقط.

وإلى الشرق من اللوحة الأولى يشاهد على واجهة صخرة ملساء كبيرة الحجم بعض الأشكال الآدمية والحيوانية، منها أشكال لأبقار ذات قرون ممتدة إلى الأمام. ويتوسط الغُرَّة شكل آدمي مكتملة خطوطه، رُسم بطريقة تعبيرية أسطورية، بحيث يُعبر عن أحد الآلهة في العصور القديمة. وفي أقصى الشرق وعلى واجهة صخرية مواجهة للجنوب توجد بقايا رسوم آدمية وأشكال حيوانية وكتابات بقلم جنوبي (مسند). ويتضح من هذه الرسوم والنقوش أنها ذات طابع محلي يعود لحضارة الجزيرة العربية في العصور القديمة.

ثميلة بَجْدة. إلى الجنوب الشرقي من أبا البيبان بحوالي ٣كم تقع آثار ثميلة بَجْدة. وهي إلى الشرق من مركز بجدة الحكومي بحوالي ٢كم. فعلى واجهة جبل باتجاه الناحية الشمالية توجد نقوش إسلامية كثيرة نقشت على مستويات مختلفة، وعلى مساحات صخرية متفاوتة. وهي ذات عبارات متنوعة في الصيغ والألفاظ.

ويتراوح عدد أسطر النصوص المنقوشة بين سطرين وستة، وهي منقورة نقراً خفيفاً على الواجهات الصخرية، وجميعها كتب لطلب الرحمة والمغفرة من الله تعالى. ومن استعراضنا للأسماء الواردة في هذه النصوص يتضح أنهم من التابعين أو من القادة والأمراء أو الولاة، أو ممن كان لهم شأن في عهد بني أمية وبداية العهد العباسي.

وإلى الجنوب الغربي من ثميلة بجدة بحوالي كيلومتر واحد وشرق مركز بجدة الحكومي، عثر على مجموعة أخرى من النقوش الإسلامية. وهي على غرار النقوش المذكورة سابقاً. غير أننا نتبين صلة بعض هذه الأسماء بالقبائل العربية التي كانت تسكن منطقة الساحل الغربي للحجاز، وعلى الأخص قبيلة جهينة إذ ينتهي الاسم غالباً بلقب (الجهني).

طوى الحمدة. تقع آثار طوى الحمدة على بُعْد ١١كم تقريباً إلى الجنوب من

ثميلة بجدة. فعلى الواجهات الصخرية لأحد الجبال توجد مجموعة أخرى من الكتابات الإسلامية المنقوشة على هذه الصخور. وتختلف هذه النصوص من حيث الصياغة والعبارات. وتعود غالبيتها إلى القرن الأول الهجري، وفقاً لأشكال الحروف وتطورها. وتذكر هذه الكتابات شخصيات تدل سلسلة أسمائهم على أنهم من الشخصيات المبكرة في العصر الإسلامي، ومنهم من ينتمي إلى الأنصار.

كما يلاحظ وجود بعض النقوش النبطية ورسوم بعض الجمال، مما يدل على وجود لمملكة الأنباط في هذه المنطقة في عهود ما قبل الإسلام. كما تشتمل تلك النقوش على بعض الأسماء العربية القديمة.

القارة الحمراء. تقع على بعد ٢٢كم تقريباً من طوى الحمدة، إلى الجهة الجنوبية الغربية، تلة صخرية في وسط سهل يسمى قاع بني مرّ. ويطلق على هذه التلة القارة الحمراء لأن لونها يميل إلى الحمرة. وهي تقع إلى الجنوب من آثار أبا العجل بحوالي ٥٥كم، وتنتشر على جميع واجهات هذه التلة الصخرية كتابات عربية قديمة مختلفة، سابقة على الإسلام، وإسلامية مبكرة، منها النبطية، والمسند الجنوبي الشمالي، والكتابات الإسلامية. وهذا يدل على أن هذه المنطقة كانت مستوطنة مهمة وممراً رئيسياً للقوافل والمسافرين على مر العصور.

كتابات قديمة مختلفة من موقع القارة الحمراء – حسمى

وقد بدأت كتابة النصوص العربية الإسلامية على الآثار مباشرة منذ القرن الأول الهجري، ويلاحظ أن هذه النصوص تختلف من حيث عدد السطور والصيغ والألفاظ. كما أن الشخصيات المذكورة في النصوص تبين أنهم من سكان الجزيرة العربية، أو ممن غادروها إلى أجزاء أخرى من الدولة الإسلامية. إذ تنتهي الأسماء بالأنصاري، والجمحي، والأيلي، والحضرمي وغير ذلك. ومنهم من قدم للحج من المغرب الأقصى وينتهي اسمه بالبربري من أهل طنجة.

وهناك مجموعات أخرى من النصوص الكتابية، بعضها واضح، وبعضها غير واضح، لتعرضه للتخريب. وقد أمكن التعرف على بعض النقوش الإسلامية المؤرخة، ومنها نقش مؤرخ سنة ١١٢هـ وآخر سنة ١٤٢هـ.

وهناك مواقع أثرية مهمة تنتشر شمال وغرب وجنوب حسمى منها:

قُرَيَّة. وتقع إلى الشمال الغربي من تبوك بحوالي ٧٠كم وهي من أكبر المواقع الأثرية في منطقة حسمى. (انظر: قُرَيَّة).

أبو طبيق. وتقع على بعد ٩٣كم شمال تبوك بميل نحو الغرب، وأقرب مركز حكومي للموقع هو بلدة عيينة التي تبعد عنها حوالي ١٦كم. وأبو طبيق منطقة منبسطة، بها بعض الهضاب الصغيرة، وتنتشر عليها آثار لمستوطنة قديمة مبنية من أحجار رسوبية سوداء داكنة. كما تنتشر على سطح الموقع بعض الكسر الفخارية غير المزججة. وتنتشر في السهل أكوام حجرية على شكل قواعد لرجوم. كما يلاحظ وجود تلال أثرية كبيرة نسبياً. وتدل بعض الآثار على وجود نشاط زراعي قديم. ويلاحظ على الهضبة المتوسطة في المنطقة بقايا امتدادات جداريّة واضحة المعالم تشكل أسواراً وجدراناً لمبانٍ كبيرة. ويبدو أن آثار أبو طبيق ذات صلة بموقع قُرَيَّة الأثري، إذ إن هذا الموقع يقع على الطريق التجاري نفسه الذي يمر بموقع قُرَيَّة.

الصياني. موقع أثري كبير شمال المعيصي بحوالي ١٢كم تقريباً.

البدع ومغاير شعيب. تقع آثار البدع ومغاير شعيب غرب جبل اللوز، والمسافة بينهما وبين تبوك حوالي ١٧٠كم (انظر: البدع).

روافة. تقع آثار روافة إلى الجنوب الغربي من تبوك بحوالي ٧٥كم، وتبعد إلى الجنوب من آثار قُرَيَّة بحوالي ١٠٠كم. وهي معبد قديم يعود لمملكة الأنباط. وقد عرف عن هذا الموقع وجود

جانب من آثار روافة – غرب تبوك

نقش كتب باليونانية والنبطية، يدل على بناء معبد للثموديين، يعود تاريخه للفترة ما بين ١٦٦-١٦٩م.

الحسينية

يُعَدّ موقع الحسينية من المواقع المهمة في محافظة الحريق، على مسافة ٢كم جنوب شرق بلدة نعام على خط الطول ٣٨َ ٤٦ْ شرقاً ودائرة العرض ٣٦َ ٢٣ْ شمالاً، والبلدة قديمة لا يعرف عنها الأهالي إلا اسم الحسينية فقط، والموقع أطلال لوحدات معمارية قديمة وتلال أثرية على مساحة مربعة تقدر بنحو ٢كم×٢كم، ويتكون الموقع من بقايا أسوار، وهي على نوعين: الأول سور من الطين قرب التلال الأثرية يصل ارتفاعه إلى ٥م تقريباً، وسماكته تصل إلى متر ونصف المتر، أما النوع الآخر فيقع على التلال الجبلية، وهو سور مبني من الحجارة شبه المنتظمة، يصل ارتفاعه إلى ٣م وبسمك ٦٠سم تقريباً. ومن الوحدات المعمارية المشاهدة في الموقع تلال أثرية ترى أساساتها، بالإضافة إلى وجود كسر للفخار وقليل من الزجاج، كما تشاهد في الموقع عدة آبار مهدمة. ومن الأمور اللافتة للانتباه وجود نفق ذي اتجاهين في التل الجبلي الواقع قرب السور الحجري، وهذا النفق يبلغ طوله ٢٠م تقريباً، يتجه من الغرب إلى الشرق ويصل ارتفاع فوهته الغربية إلى ٢,٥م وبعرض متر واحد، يضيق كلما اتجهنا إلى فوهته الشرقية. ولا يعرف على وجه التحديد الغرض من هذا النفق؛ هل هو نفق حربي يختبئ المحاربون فيه أثناء الغارات الحربية؟ أم أن هذا النفق منجم أثري لأحد المعادن؟ لا سيما أنه توجد بقايا من أحجار الكوارتز على أحد جوانب النفق، وهي في الغالب، دليل على وجود معدن الذهب.

جزء من الأسوار الممتدة في الحسينية

الحفيرة

يوجد موقع الحفيرة على الحافة الشمالية لوادي الخشيبي، على خط الطول ٣٨َ ٤٣ْ شرقاً ودائرة العرض ٢٢َ ٢٩ْ شمالاً، على مساحة تقدر بحوالي ٢٠٠×٨٠م في منطقة الحدود الشمالية. والموقع يمثل أطلال قرية ومدينة إسلامية حيث يوجد عدد كبير من الأبنية الحجرية، على هيئة مساكن مربعة ومستطيلة ودائرية، بعضها مفرد والبعض الآخر مركب ومتصل، ويبلغ ارتفاعها ٨٠سم وسمك الجدار متر واحد. وقد عثر على مجموعة كبيرة من الكسر الفخارية ذات الطلاء الأخضر والأزرق، وعلى كسر زجاجية، ويرجع تاريخ الموقع إلى العصر العباسي.

حَلي قديم

تقع حلي عند تقاطع خط الطول ٣٢َ ٤١ْ شرقاً ودائرة العرض ٤٥َ ١٨ْ شمالاً في منطقة مكة المكرمة. وتطلق كلمة حلي على وادي حلي المشهور، باتساعه وخصوبة أرضه. كما تطلق على مدينة حلي المعروفة في المصادر العربية باسم (حلي بن يعقوب) والتي يعتقد أنها كانت العاصمة المركزية للوادي.

ويطلق اسم حلي أيضاً على إقليم حلي بأسره استدلالاً بما ذهب إليه الهمداني من أن حلي مخلاف. وكلمة مخلاف اصطلاح جغرافي يستخدم للدلالة على الإقليم، وهو يحمل المعنى نفسه الذي تؤديه كلمة الجند عند أهل الشام، والكورة عند أهل العراق. ولكن الموقع لا يعرف الآن إلا باسم وادي حلي، وهو يستمد سيوله من جبال السراة، ويصب في البحر الأحمر إلى الجنوب من مدينة القنفذة بحوالي ٦٠كم.

وحلي معروف في المصادر التاريخية والجغرافية منذ عهد مبكر بأنه منطقة مرور لطريق الحج اليمني إلى مكة المكرمة، وأنه محطة من محطات القوافل التي تسلكه، وبه عدد من المواقع الإسلامية المهمة بجانب مدينته المشهورة حلي بن يعقوب التي أفاضت المصادر العربية في وصف عمرانها ومرافقها منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي حتى عصور متأخرة نسبياً. وما يزال موقع المدينة معروفاً إلى اليوم، إلا أنها أصبحت تعرف بين الأهالي باسم حلي قديم بدلاً من حلي بن يعقوب الذي اتخذ صفة تعميمية بإطلاقه على الوادي بأسره. وتسمية المدينة بحلي قديم تدل على قدمها مقارنة بالمواقع الأخرى التي هي أحدث منها نسبياً في حلي. وتقع مدينة حلي قديم إلى الشمال الشرقي من بلدة مخشوش، بحوالي ٤كم، وإلى الجنوب من منطقة الصلب الخصبة بحوالي ٣كم. وتتوسط قرى دلتا وادي حلي الخصب، ويمكن الوصول إليها على الطريق المعبد الذي يربط جنوب المملكة بمكة المكرمة بواسطة طريقين بريين غير مزفتين، أحدهما يتفرع من قرية كياد الواقعة جنوبي الوادي، ويمر بمخطط الخضراء إلى مقر حلي. والآخر يبدأ من مفرق الصفة، مركز شرق حلي، ويمر بقوز ابن عطاف إلى الصلب ثم إلى حلي قديم أيضاً.

وعلى الرغم مما يتردد بين الأهالي من أن حلي قديم كانت على جانب كبير من العمران حتى منتصف القرن الماضي، إذ يقال إنه كان إذا نودي للصلاة على منارة جامع حلي قديم أُذِّن بعدها على ثلاثين منارة في أحياء وادي حلي المختلفة، على الرغم من ذلك فإن معظم سكانها هجروها، وتحولت إلى قرية صغيرة يتكون بناؤها من بيوت متواضعة شيدت في الغالب بالطوب وألواح الزنك والقش، وتم تشييدها فوق أطلال مدينة حلي قديم بما في ذلك جامعها الشهير. وقد ذكر إمام المسجد الحالي في حلي قديم أن

بقايا أحد الأبراج الأسطوانية لقلعة في موقع أثري بالقرب من قوز الشاهد بحلي

المسجد الجامع الذي زاره ابن بطوطة يقع تحت مسجدهم القائم الآن، وأن جميع المباني المشيدة اليوم قامت أصلاً على أساسات منازل قديمة. ويقول أيضاً: إنك لو حفرت في أي مكان بالقرب من هذا الحي السكني، فستجد بعض مخلفات البناء القديم من الأحجار والطوب الأحمر ونحوه. وقد أدى هذا الوضع الناتج عن جهل الأهالي بقيمة الآثار إلى اختفاء معظم آثار مدينة حلي قديم، ولم يبق منها إلا تلان صغيران يقعان إلى الشرق والجنوب الشرقي من الحي السكني. ويمتد التل الأول على مساحة تقدر بحوالي ٤٠٠٠م٢ على سطحه بعض أساسات المباني إضافة إلى مادة غزيرة من مخلفات البناء، مثل الأحجار التي يعتقد بأنها جلبت من الحرة الواقعة إلى الجنوب من وادي حلي والمعروفة بحرة كنانة، وكذلك كميات من كسر الطوب الأحمر الذي يبدو أنه استخدم على نطاق واسع في بناء المنازل. أما التل الثاني فهو أصغر من التل الأول، ويقع إلى الجنوب الغربي منه، ويحمل الملامح نفسها التي يحملها التل الأول.

ولم يعثر حتى الآن في موقع حلي قديم على أي صخور تحمل كتابات إسلامية تذكارية، وإن كان هناك من يذكر أنه رأى منذ زمن في موقع المدينة أو قريباً منه، شاهدي قبر منقوشين، ورأى

نقشاً تأسيسياً في مسجدها الجامع، ولكنها اختفت منذ مدة. وهذه الرواية المتعلقة بالحجر التأسيسي لجامع حلي، تتفق مع رواية المؤرخ عمارة اليمني، ومن نقل عنه، بخصوص وجود هذا الحجر التأسيسي الذي يعود إلى أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر وأوائل الحادي عشر للميلاد. وتجدر الإشارة إلى أن موقع حلي قديم تتناثر حوله من الشمال والشرق والغرب عدد من المواقع الأثرية التي يعتقد بأنها تعود إلى بعض الفترات الإسلامية. ومن هذه الأماكن الهجرة، وتقع إلى الغرب من موقع حلي قديم بحوالي ٤كم، ولم يبق منها إلا المقبرة، وتلان صغيران يحفان بها من الشمال الشرقي والجنوب الغربي، وهما مغطيان بمادة لا حصر لها من كسر الفخار، والخزف، والزجاج.

الثاية. تقع قرية الثاية إلى الشمال الشرقي من موقع حلي قديم بحوالي ٣كم وآثارها تحمل الملامح السابقة نفسها، إضافة إلى أساسات حجرية لمبنى يعتقد بأنه كان مسجداً.

بدرة. على بعد حوالي ٤كم من حلي قديم في الاتجاه نفسه يوجد موقع آخر اسمه (بدرة)، تقع آثاره إلى الغرب من مساكن بدرة الحالية، وهو تل صغير تتناثر على سطحه بعض مخلفات الطوب الأحمر وكسر الفخار والزجاج. ويوجد في الطرف الغربي لهذا التل، أساسات بناء استخدم فيه الطوب الأحمر المبيض بالجص أو بالنورة. ويبرز من هذا البناء بشكل واضح، جداراه الشمالي والغربي اللذان يبلغ طول كل منهما ثلاثة أمتار. أما الجداران الجنوبي والشرقي فيبرزان بدرجة أقل وضوحاً، على الرغم من أن طولهما هو طول الجدارين السابقين نفسيهما. وتوجد في طرف هذا المبنى من الشرق بقايا بناء آخر من الحجر على هيئة دائرة قطرها حوالي متر، ويبلغ سمك الجدار حوالي ٩٠سم. ويعتقد أن هذا البناء يمثل الجزء العلوي لبئر قديمة مدفونة، على حين أن المبنى الأول ربما كان يستخدم حوضاً للماء بالقرب من هذه البئر.

ومن هنا يتضح أن مدينة حلي تشغل موقعاً تحيط به مواقع أخرى، هي ضواحيها، وربما كانت معاصرة لها. ولهذا فلا غرابة إذا اعتقد الأهالي بأنه إذا نودي بالأذان على منارة جامع حلي، أُذّن بعدها على ثلاثين منارة في أحيائها المجاورة.

الرديني. أما مرسى حلي أو ميناؤها فكان معروفاً في المصادر العربية منذ أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

ولكن هذه المصادر لم تشر إلى أهمية هذا الميناء وإلى دوره التجاري إلى أن جاء الإدريسي في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، فألقى الضوء على ميناء حلي، وعلى بعض أوجه نشاطه، إذ يقول «وهي فرضة من جاء من أرض اليمن، وفرضة لمن صعد من القلزم» (١٩٨٩، ج١: ١٣٨). والقلزم هو البحر الأحمر.

ويبدو أن ميناء حلي بقي عامراً طوال الفترة التاريخية التي تلت الإدريسي، إذ يفهم من كلام ابن بطوطة وغيره أن مرسى حلي كان معروفاً في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، وربما إلى ما بعد ذلك بزمن طويل. ولعل الميناء ظل مستخدماً حتى القرن الماضي، لأن فيلبي Philby تعرض إلى ذكر موقعه سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م ويعرف باسم عازب، ووصفه بأنه ميناء أو مرسى حلي، وأن مسؤوليته كانت منوطة بشيخ قبائل كنانة. إلا أن هذا الميناء لم يعد شيئاً مذكوراً الآن، وحتى اسمه لم يعد معروفاً بين الأهالي، وإنما يعرف موقعه باسم الرديني نسبة إلى رجل يمني توفي ودفن فيه. ولم نستدل على اسم الشيخ إلا من خلال ما وصل إلينا من معلومات عن طريق فيلبي، ثم من خلال ترجمة للشيخ الرديني جاء فيها أنه توفي وهو قافل من الحج سنة ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م، ودفن بساحل البحر من ناحية حلي بقرية يقال لها (عازب). ومن هنا يتضح أن مرسى حلي اسمه (عازب)، وإنما غلبت عليه تسمية الرديني، نسبة إلى ذلك الشيخ الذي دفن فيه، وشُيد بناء على قبره.

يقع ميناء عازب على بعد حوالي ٨كم إلى الغرب من مدينة حلي قديم، وهو مهجور تماماً في الوقت الحاضر، ولم يبق منه إلا أساسات ضريح الشيخ الرديني، وجزء من المقبرة التي تقع إلى الشمال الشرقي من الضريح، إضافة إلى جزء من الحي السكني الذي يمتد إلى الجنوب من الضريح. وقد تأثر الموقع بكامل أجزائه من جراء السيول، لأن وجوده في فوهة وادي حلي جعله عرضة للجوارف. فالمقبرة-على سبيل المثال- لم يبق منها إلا لحود مكشوفة، والحي السكني لم يعد يرى منه إلا بقعة صغيرة تقع جنوب الضريح وتقدر مساحتها بحوالي ١٠٥م × ٢٥م. وهي مغطاة بمخلفات البناء والأصداف وكسر الفخار والزجاج والخزف.

أما الضريح فيقع على ربوة طينية إلى الشمال من الحي السكني، وقد

ساعد على بقائه وجوده فوق هذه الربوة التي حمته من جرف السيول، ولكنها مع ذلك لم تحمه من عوامل السقوط والتهدم. فلم تبق منه إلا أساسات جدرانه التي تشكل مربعاً مساحته التقريبية حوالي ٤٠م٢، وبعض ركام المبنى المتساقط الذي استخدم فيه الطوب الأحمر جنباً إلى جنب مع الصخور التي جُلبت من الشعاب المرجانية. ويوجد القبر في النصف الجنوبي من الضريح.

مقبرة بني هلال. تقع إلى الشمال الشرقي من الرديني بحوالي ١,٥كم، مقبرة قديمة تعرف باسم مقبرة بني هلال وهي تسمية تدل على قدم هذه المقبرة، لأن سكان تهامة، بصورة عامة، ينسِبون إلى بني هلال، القبيلة العربية المشهورة، كل قديم مهجور من آبار وخرائب ومقابر ونحوها. وهي مقبرة صغيرة، لا تزيد مساحتها التقريبية عن ١٢٠٠م٢. وما تزال قبورها واضحة المعالم، وشواهدها التي جلبت من الشعاب المرجانية، قائمة، لم تتأثر بالرياح القوية التي تهب على المنطقة. ولأن هذا النوع من الشواهد لا تصلح عليه الكتابة، بسبب خشونة بلاطاتها، فلم يعثر في هذه المقبرة على

جزء من رحى أو معصرة حجرية في حلي

أي كتابات إسلامية تدل على أسماء المتوفين أو تواريخ وفياتهم.

ويعتقد بأن هذه المقبرة كانت تابعة لموقع عازب، لعدم وجود مكان سكني بالقرب منها، ولقُرب المسافة بين عازب والمقبرة، وهي مسافة طبيعية لمواقع المقابر من الأحياء السكنية في كثير من المواقع التهامية حتى في الوقت الحاضر. وربما اختيرت المقبرة في هذا المكان من قبل فئة من سكان عازب، لكي يدفنوا موتاهم في مكان يبعد عن مجرى وادي حلي الذي يشكل تهديداً لموقع عازب من الشمال. ولا شك أن موقع هذه المقبرة خارج مجرى الوادي من الشمال، يجعلها بمنأى عن تهديد السيول التي تجري بغزارة في وادي حلي، مما يجعل مواسمه الزراعية تمتد معظم فصول السنة.

الحمراء

تقع الحمراء على بعد ٦,٥كم شرق البوير بمنطقة المدينة المنورة، على خط الطول ٦ ٠ َ ٣٩ْ شرقاً ودائرة العرض ٥٧ َ ٢٤ْ شمالاً. وتبلغ مساحة الموقع حوالي ١كم٢ تقريباً، وهو بقايا أساسات وجدران وتحصينات تنتشر فوق مساحة من الأرض الرملية غطي معظمها بالرمال، وتظهر جدران المباني على السطح ممتدة إلى أبعاد واتجاهات مختلفة وسط منطقة رملية فسيحة تحيط بها مجموعة من الجبال، من الشرق والجنوب جبال الحمراء، ومن الشمال جبل المدرجة، وحرة من الصخور البازلتية السوداء، وأما الجهة الغربية للموقع فهي مفتوحة على وادي الحمض. ويتوسط هذا الموقع الأثري المهم بناء رئيسي مستطيل الشكل مساحته ٤٣م × ٣٥م، بني من الحجارة الجرانيتية السوداء المنحوتة بدقة وعناية ومثبتة بالمونة، ويدعم الجدار

دعامة دائرية في قصر الحمراء

الشمالي للبناء ست دعامات دائرية من الحجارة الجرانيتية المنحوتة بدقة والمثبتة بالمونة بنيت مع الجدار، وتتكون الدعامة الواحدة من عدة أجزاء من الحجارة الجرانيتية، يبلغ قطر الواحدة منها ٥٥سم، ترتكز على قاعدة مستطيلة الشكل من الحجر البازلتي، مساحتها ٥٧سم × ٣٧سم.

ويقع المدخل الرئيسي للبناء في منتصف الجدار الشمالي وهو بعرض أربعة أمتار ويرتكز على جانبي المدخل عمودان مشيدان من الحجارة الجرانيتية المنحوتة بدقة على شكل دعامتين دائريتين بنيتا مع الجدار وثبتتا بالمونة وغطيتا بالقصارة، إذ لا تزال آثار القصارة واضحة على بعض أجزائها. وعلى عمق ١٣٠سم حول الدعامتين تظهر درجات المدخل الرئيسي التي ترتكز على جانبيها دعامتا المدخل وعلى طوبة من الآجر، وربما كانت أرضية المدخل مبلطة بالطوب أو الآجر.

مدخل قصر الحمراء

والجدار الجنوبي للبناء تدعمه ثلاث دعامات دائرية مبنية من الحجارة البازلتية من عدة أجزاء وهي غير منحوتة وغير متجانسة، كما كانت الحال في الجدار الشمالي، يبلغ قطرها ١٤٠سم. أما الجدار الشرقي فيظهر فيه دعامة دائرية واحدة بنيت مع الجدار من الحجارة البازلتية، ويبلغ قطرها ١٤٠سم، تشبه دعامة الجدار الجنوبي، أما الجدار الغربي للبناء فتدعمه أربع دعامات دائرية بنيت مع الجدار وثبتت بالمونة، ويبلغ قطر الواحدة منها ١٤٠سم، وهي تشبه دعامات الجدارين الجنوبي والشرقي. كما أقيم على واجهة الجدار الغربي من الداخل بناء حديث مبني من الآجر.

والمدخل الرئيسي للبناء يؤدي إلى فناء مكشوف تحيط به من جميع الجهات غرف تتقدمها دعامات دائرية بنيت مع جدار الغرف، وتظهر في الجهة الشرقية للفناء إحدى هذه الدعامات الدائرية، ودعامة أخرى في الجهة الشمالية، ودعامتان في الجهة الغربية، يبلغ قطر الواحدة منها ٥٥سم، وهي تشبه الأعمدة الدائرية التي تدعم الجدار الشمالي للبناء، وبالكشف عن إحدى هذه الدعامات اتضح أنها تتكون من أربعة أجزاء، وقد ثبتت أجزاء الدعامة بالمونة، وترتكز هذه

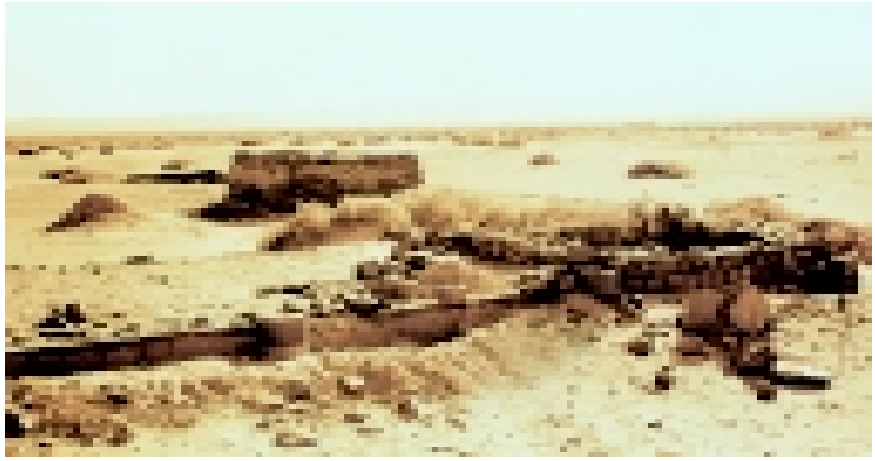

أحد أركان بقايا قصر الحمراء

الدعامة على قاعدة من الحجارة البازلتية مستطيلة الشكل، مساحتها ٥٧سم × ٣٧سم، وعلى مستوى قاعدة العمود عثر على رحى من حجر البازلت. والفناء الداخلي يضم عدداً من الغرف يظهر منها ١٧ غرفة ذوات مداخل تصل بعضها ببعض ومداخل أخرى تفتح على الفناء. ويؤرخ الموقع لفترة العصر الإسلامي.

الحَناكية

الحناكية بلدة كبيرة في منطقة المدينة المنورة، تبعد عن المدينة المنورة شرقاً بحوالي ٩٠كم. وهي تقع على خط الطول ٣٠ َ ٤٠ ْ شرقاً ودائرة العرض ٥٣ َ ٢٤ ْ شمالاً ويتبعها عدد من القرى والهجر، وحولها مزارع ومراعٍ وبادية كثيرة. ويمر بها الطريق الذي يربط المدينة المنورة بالقصيم مما زاد من انتعاش البلدة.

ويعتقد بأن الحناكية قامت في المنطقة التي كانت تسمى في العصور الإسلامية المبكرة بطن نخل، وكانت تقع على طريق الحج الفرعي المتجه من النقرة إلى المدينة المنورة، من طريقي الحج والتجارة الممتدين من العراق إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة.

الموقع الأثري بالحناكية

والمحطات الواقعة على هذا الطريق هي: النقرة، والعسلية، والمحدث، وبطن نخل، والطرف، ثم المدينة المنورة.

وقد وصف الجغرافيون بطن نخل في القرن الثالث الهجري بأنه منزل مأهول كثير النخل والزرع، والماء من القُنيُّ جمع (قناة)، والبئر بها قريبة القعر، على خمسة أذرع يظهر الماء ، وهي أرض رضراض عَمَرها بعد الإسلام مصعب بن الزبير في أيام أخيه عبدالله بن الزبير (٦٤هـ-٧٣هـ).

وعلى الرغم من عدم العثور على آثار لمبان ومنشآت قديمة ظاهرة على سطح الأرض، إلا أنه يوجد شرق الحناكية بحوالي ٢٢كم جبل صغير على واجهاته الصخرية رسوم وأشكال آدمية وحيوانية مصورة على شكل جماعات وبهيئات مختلفة. وتدل هذه الرسوم على وجود حضارة قديمة. كما تنتشر بعض النقوش العربية القديمة.

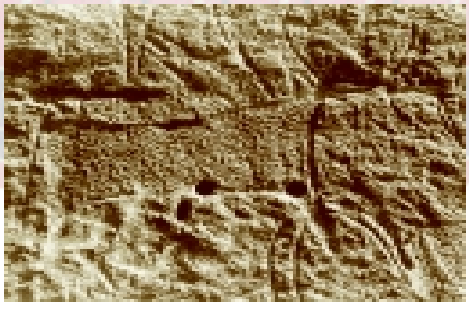

نحت صخري - الحناكية

كتابة إسلامية - الحناكية

أما الكتابات الإسلامية فتنتشر في أماكن متفرقة على الواجهات الصخرية وهي نصوص غير مؤرخة تتضمن طلب المغفرة. ويمكن تحديد فترة كتابة بعض النصوص بالقرن الأول الهجري، وتحديد كتابة أخرى بمنتصف القرن الثالث للهجرة.

ولعل انتشار الكتابات الإسلامية في هذا الموضع يدل على أن المنطقة كانت مستوطنة وممراً للتجارة والحج، وأن الأشخاص الواردة أسماؤهم في النصوص إما أنهم من القاطنين في بطن نخل أو من المسافرين على طريق الحج. وتضمنت الرسوم والنقوش والكتابات المكتشفة في الحناكية نحو خمسة وعشرين رسماً من الرسوم الآدمية، ومائة وسبعة وخمسين رسماً لأبقار، وثمانية عشر رسماً لجمال، وثلاثة وسبعين رسماً لحيوانات مختلفة، وثلاثين رسماً وعلامة، وثمانية نقوش لكتابات عربية

كتابة إسلامية تعود إلى القرن الثالث الهجري – الحناكية

قديمة بخط المسند وسبعة وثلاثين نقشاً لكتابات إسلامية مبكرة.

الحَوراء

تقع الحوراء على بعد ١٠كم إلى الشمال من مدينة أملج في منطقة تبوك على خط الطول ١٦َ ٣٧ْ شرقاً ودائرة العرض ٠٧َ ٢٥ْ شمالاً. وهي مدينة قديمة من مدن قبيلة جهينة قبل الإسلام، أراد أن يبني فيها رجل منهم كعبة ينافس بها كعبة قريش فَنَهَتْهُ قبيلته واستعظمت ذلك. وكانت الحوراء ميناءً مهماً على ساحل البحر الأحمر خلال الفترة الإسلامية المبكرة، ومحطة على طريق الحج المصري، ومدينة عامرة. وصفت في القرن الرابع الهجري بأنها مدينة مسورة بها ثمار وآبار وجامع. ووصفت في القرن السادس الهجري بأنها قرية عامرة وأهلها أشراف. كما اشتهرت الحوراء خلال تلك الفترة بصناعة أواني الحجر الصابوني الذي كان يصدر منها إلى سائر الأقطار. ويذكر ياقوت الحموي في مُعجم البلدان أن الحوراء أصبحت ماءة ملحة ليس بها أحد ولا زرع ولا ضرع، وقد أخبره بذلك من شاهدها سنة ٦٢٦هـ.

وتوجد آثار هذه المدينة بالقرب من شاطئ البحر، وتمتد على مساحة كبيرة في

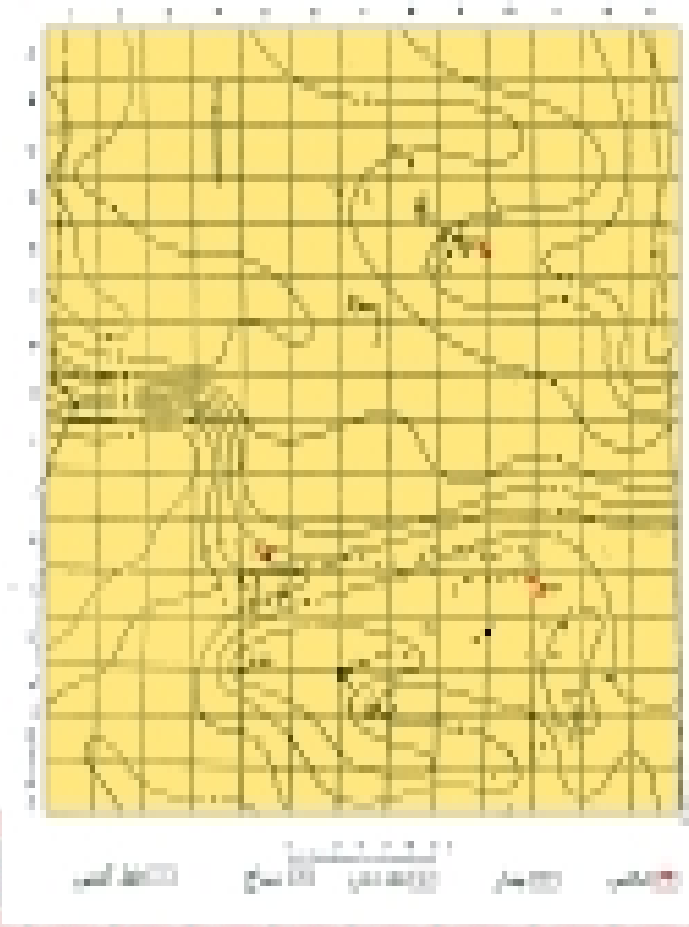

رسم كنتوري لموقع الحوراء، مع إيضاح لمواقع المجسات والجدران والسياجات

شكل مجمـوعة من التلال الأثرية. وقد كشفت المجسات التي أجريت بها عن جزء من منزل مبني بالحجر الجيري يعود تاريخه إلى القرن الرابع الهجري وبداية الخامس، به حجرة أرضيتها مبلطة ببلاطات الآجر، وجدرانهـا مزينة بزخارف جـصية كتابـية ونباتية. وظل موقع الحوراء بعد اندثار المدينة الإسلامية منزلاً غير معمور من منازل طريق الحج المصري الساحلي، يرد ذكره في كتب الرحالة الحجاج الذين عددوا منازل الطريق خلال العصرين المملوكي والعثماني. وقد اشتهـرت الحوراء خلال هذين العـصرين بملوحة مـياهها، ووجود أشجار الـنخيل بساحلها.

وفي القـرن التاسع عـشر الميلادي نشأت إلى الجنوب من الحوراء مدينة أملج

التي حلت محل الحوراء مدينةً ساحلية لقبيلة جهينة. ولم تلبث أملج أن ازدهرت، واتسع عمرانها، وأقيمت فيها منازل متعددة الطوابق على طراز عمارة حوض البحر الأحمر. وكانت مدينة أملج تتكون من حلتين يفصل بينهما المرسى: حلة شمالية يوجد بها السوق، والمسجد الجامع، والإدارات الحكومية، وعدد كبير من المنازل، وحلة جنوبية بها مساكن لأفخاذ من قبيلة جهينة.